اسس التربية المسيحية

+المطران حبيب هرمز

2019/11

مقدمة

تعريفات التربية عديدة، يمكن القول انها عملية بناء الشخصية الإنسانية حاملة المعرفة والمحبة لعمل الخير وتوخي العدالة والساعية لتلمس الحقيقة في العلاقات الإجتماعية. المتربي يعرف حقوقه وواجباته، انه يرى الجمال من حوله ويساهم في خلقه. بإختصار هي الحياة، وتصبح اكمل عندما تتقوى العلاقة مع الخالق. لذلك للتربية دور اساسي وجوهري في حياة البشر وتقدم المجتمع. وقد اهتمت الكنيسة منذ نشأتها بموضوع التربية حيث تشهد على ذلك نصوص العهد الجديد وكتابات آباء الكنيسة ورسائل الكنيسة الجامعة وارشادات القديسين. التربية تستمر طول العمر، فحتى الكبار هم بحاجة الى تربية، وهي حق من حقوق الإنسان.

يشهد عالمنا ظهور طرق تربوية متنوعة متأثرة بافكار فلسفية او علمية او اجتماعية او دينية. وفي هذا المقال سيتم التركيز على دور الكنيسة كأم ومربية. سبب كتابة هذا المقال هو الحاجة الملحة للوعي بهذا الموضوع الخطير لنا وللجيل اليانع وسط تحديات العولمة والمادية والبدع وغيرها، خصوصا هناك توجه من قبل كنيسة العراق لتنشيط فتح دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الإبتدائية وحتى الثانوية.

التربية في الكتاب المقدس

يقول مار بولس في رسالته الى اهل غلاطية ان التدبير الخلاصي (من ايام ابينا ابراهيم الى يسوع المسيح) هو تربية تشبه ما يحصل للشخص من فترة الطفولة. فالشريعة الأخلاقيّة في ضمير الإنسان هي من عمل الحكمة الإلهيّة. ويمكن اعتبارها تعليماً أبوياً وتربيةٌ من الله. وتربية البشر وفق هذا المنظور ستستمر الى نهاية الزمان بفضل عمل الله المستمر في ضمير البشر. ولإيماننا ان الله محبة، فعيش المحبة هو اساس كل تربية.

ان اقرب كلمات الى موضوع التربية في الكتاب المقدس هي كلمتين عبريتين تعنيان: هبة الحكمة، والتهذيب، وهذه هدفها هو انضاج الشخص المؤمن بالعناية الإلهية. ومن الطبيعي ان التربية في الكتاب المقدس هي تعبير عن التربية الإلهية كما يؤكد سفر الأمثال: "[7] مَخافَةُ الرَّبِّ رَأسُ العِلْم والحِكمَةُ والتَّأديبُ يَستَهينُ بِهِما الأَغْبِياء."(ام 1: 7)، فيبدو واضحا كيف ان الله هو المربي الأول. ولكن هذا لا يمنع من وجود تربية علمانية قد توازي او تتقاطع مع ما تعلنه الأسفار المقدسة.

لقد شبّه النبي حزقيال تربية الحب الإلهي برعاية الله لبني اسرائيل منذ طفولته على قارعة الطريق الى فترة الشيخوخة. هذا رغم كل الخطايا ومواقف الغدر بالعهد (طالع الفصل 16). فرغم كل ما فعله بنو اسرائيل بسبب اللامبالاة تجاه الحكمة الإلهية يبقون (ابن الله البكر).

يمكن ان نعكس تربية الله لشعبه على طبيعة تربية الوالدين لأولادهم. ولكن يبقى المعلم الأعظم يسوع المسيح هو قمة التربية بإستحقاق كونه رفع خطيئة العالم كله وحقق الخلاص الشامل للبشرية (يو 1: 29). لقد امتحن معلمنا الإلهي يسوع المسيح كل شيء مثلنا عدا الخطيئة واطاع الآب، وهو رب الحكمة. وبالتالي فالكنيسة بواسطة الروح القدس تستحق بجدارة ان تكون المربية الأم وشفيعتها السيدة مريم العذراء ومار يوسف.

اهتمام الكنيسة الجامعة

يهتم الكرسي الرسولي دائما بموضوع التربية، فقد اصدر عشرات الوثائق، ولكن سيتم التركيز على ما تم اصداره بعد الحرب العالمية الأولى.[1] ولأن الموضوع اكبر من ان يتم حصره في مقال قصير سيلخص المقال بيان مهم صدر عن المجمع الفاتيكاني الثاني وعلى ما اشار اليه كتاب التعليم المسيحي الرسمي.

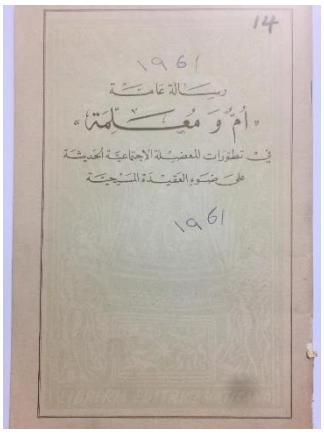

بيان في التربية المسيحية

اصدر المجمع الفاتيكاني الثاني سنة 1965 بيانا مهما في "التربية المسيحية" . وفي ظروفنا الحالية من الضروري التأمل فيه لكل اعضاء كنيستنا اينما كانت. في البداية يؤكد المجمع على حق الناس في نعمة التربية حسب طبيعة حياتهم وما يحيط بها من تأثيرات، فيؤكد على تأثيرها في حياة الناس خصوصا في علاقاتهم المجتمعية وتأثير الهجرة. المهم التركيز على كونها تتجاوب مع الغاية الأخيرة للشخص وخير الجماعة التي يحيا في وسطها. على المهتمين بالتربية مراعاة تطور العلوم ومساعدة المربين

[1] نذكر رسائل البابوات: بيوس 11 سنة 1929 بعنوان "المعلم الإلهي"، وارادته الرسولية "العالم الكاثوليكي" 1923، والبابا بيوس 12 الذي اصدر رسالة عبر الإذاعة سنة 1942، وايضا اصدر رسالة "الجنس البشري" 1950، والبابا يوحنا 23 الذي اصدر رسالة "ام ومعلمة" سنة 1961، واخرى بعنوان "السلام في الأرض" 1963. ومن دساتير الكنيسة نذكر: دستور "الرب اله العالم" 1931، و"الكنيسة في عالم اليوم 1965"، و"دستور عقائدي في الكنيسة" وآخر "في الليتورجيا". ومن قرارات الكرسي الرسولي: قرار في مهمة الأساقفة الراعوية، وقرار في وسائل الإعلام الإجتماعية 1964. هذا اضافة الى كتاب التعليم المسيحي 1994 والعديد من الخطب والكلمات.

ليطوروا انفسهم ويعوا بمسؤوليتهم بحرية وشجاعة تجاه الصعوبات. ويعتبر الإندماج والإنفتاح نحو الآخرين من اهداف التربية الصحيحة كي يساهم الجميع في صنع الخير العام. يضاف الى ذلك نعمة الضمير الحي في قلوب البشر كي يسعوا نحو الحقيقة بتواضع ويفحصوا ضميرهم.

هذه الأسس هي ضرورية خصوصا في زمن انتشار وسائل التواصل الإجتماعي وحرية التعبير دون قيد او شرط، وحرية الممارسات الشخصية في الحضارة المادية التي وصلت الى حد استغلال واستعباد جسد الإنسان بعيدا عن الهدف المقدس من خلقه.

التربية المسيحية هي تربية من ولد من الماء والروح القدس، اي تربية ابن الله الناضج الداخل الى معرفة سر الخلاص والواعي لنعمة الإيمان. هذا النموذج المسيحي قادر ان يقود حياته بالبر والقداسة ويشهد للرجاء الذي فيه. انه العامل وفق قيم تصنع الخير للمجتمع. لذلك يحث المجمع على دور الوالدين في تربية ابنائهم؛ يربوهم وهم صغار على تمجيد الله ومحبة القريب؛ ان يختبروا الكنيسة والمجتمع وكل العائلة البشرية تدريجيا. وللمجتمع المدني مسؤولية اخرى في دعم الوالدين من خلال المدارس ومعاهد التربية. والكنيسة تساعد العائلة من خلال تقديم حياة المسيح وكيفية العيش وفقاً لذلك. ويشير المجمع هنا الى دور الأسرار الطقسية في التربية والعمل الرسولي والتراث الإنساني، واكد على ان تقوم الكنيسة بروحنة هذه النشاطات.

وسائل اخرى للتربية

حسب البيان هناك المدرسة لها دور ايضا في التربية. انها تنمي العقل البشري كي يحسن السعي للحقيقة وشرح معاني القيم والإعداد للحياة المهنية التي تتطلب تعلم معنى الصداقة وتحمل المسؤولية وتنمية المواهب. وبخصوص المجتمع، يؤكد المجمع على اهمية العدالة في توزيع الخيرات على افراد المجتمع حيث ينال المعلم والأولاد حقوقهم كمواطنين ذوي صحة جيدة، وان يتقدم المعلم في الإعداد ليستطيع اعداد تلامذته وتهذيبهم انسانيا.

ورغم ان نشر الخلاص بالمسيح غاية مهمة من غايات التربية المسيحية، لكن هناك غايات اخرى كالإهتمام بالثقافة الإنسانية التي تدفع المتعلمين الى الإنفتاح نحو العالم بروح انجيلية ملؤها المحبة. هنا تفتح الكنيسة والمدرسة الباب للحياة الرسولية فيكونون خميرة لخلاص العالم ومؤهلين للحوار الإنساني بضمير حي. انها تدفعهم الى خلق المبادرات الحية (ان كانت شخصية او كفرق صغيرة).

يهتم بيان المجمع بموضوع المدارس الكاثوليكية المختلفة ومنها التي تقبل من ليس كاثوليكيا– وهذا ما نلاحظه في العراق مثلا ان معظم المدارس الكنسية تقبل طلبة من مختلف الأديان– ويشير المجمع ايضا الى المدارس الخاصة بالتقنيات وبالبالغين.

خصص البيان فقرة للمعاهد والجامعات الكاثوليكية واخرى لمعاهد اللاهوت. في الحالة الأولى يذكرنا بفكر القديس توما الإكويني من خلال التاكيد على وحدة الإيمان والعقل للسعي الى الحقيقة الوحيدة. ان وحدة الإيمان والعقل تؤدي الى التفوق العلمي وفي العمل المجتمعي والإيماني.

في حالة المعاهد اللاهوتية، فإن من اهدافها هو تعميق فهم الوحي الإلهي والإغتراف من تراث الحكمة المسيحية وتنشيط سبل الحوار مع الإخوة المنفصلين ومع غير المسيحيين، اضافة الى ذلك الإجابة على اسئلة رجال العلوم المتقدمة. ولا ينسى البيان ان يشير الى دور الأساليب والوسائل العصرية في تثقيف الطلبة. واخيرا يؤكد المجمع على اهمية التنسيق بين الأبرشيات وفئات المجتمع.

التربية في كتاب التعليم المسيحي

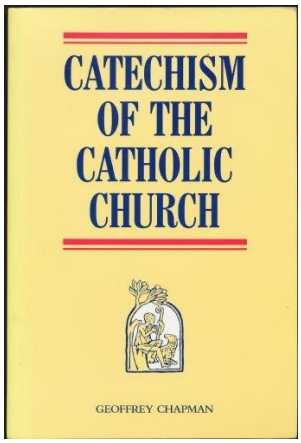

ذكر الكتاب الصادر عن الفاتيكان سنة 1994 كلمة التربية اكثر من اربعين مرة. اعتبر الكتاب المقدس والوالدين وكرازة الكاهن من اهم مصادر التربية وروافدها. وسبب الإهتمام بها هو طبيعة الإنسان المجروحة نتيجة الخطيئة، فحذر من عدم اهتمام العائلات المحطمة بموضوع التربية بما فيه الكفاية. وعلى العكس مدح الحب الزوجي بإعتباره ثمرة من ثمار التربية الجيدة للوالدين. تساءل الكتاب: كيف سيربي الوالدين اولادهم من (بفتح الميم) تمتعوا ببطلان الزواج حيث قد يحرموا من المناولة الإفخارستية اثناء القداس (فق 1665)، لذلك اكد على اهمية تربية الضمير لأنه عمل حياة باكملها (ق 1784) فهو في مركز تربية الشخص البشري. ان" تربية الضمير تكفل الحرية وتولّد سلام القلب." كما ان "التربية الفطنة تعلم الفضيلة"، ونعمة الله تنقي هذه الفضائل. حسبه تبدأ تربية الوالدين من البيت من خلال اعطاء شهادة ايمان للطفل وهو صغير، ثم يعقب ذلك الربط بين العقل والحرية. لذلك على المربين ان يعلموا المتربين على السعي لتلمس الحقيقة.

يجدر هنا الإشارة الى توجيهات المجلس الحبري من اجل العائلة: (الإنسان والجنس، حقيقة ومدلول، توجيهات من اجل التربية في العيلة/1995). فلكوننا في مجتمع شرقي متزمت، لا يتوفر مجال لشرح الأهداف السامية لغريزة الجنس لذلك تحثنا التوجيهات الى ضرورة التفكير والتخطيط للبدء بشرح ذلك في اوساط التربية التي تهتم بها الكنيسة. هذه تتطلب ايضا التنسيق بين العائلة والمدرسة والكنيسة.

الختام

يبدو واضحا كيف ان التربية هي شرط من شروط الحياة الإجتماعية وسبيل لعمل الخير الخاص والعام. يلاحظ كم ان لها اهمية جوهرية في رسالة الكنيسة الجامعة وفي حياة الشخص البشري، وكيف ان هناك وسائل متعددة لتفعيل هذه المبادئ في حياة الأشخاص خصوصا طلبة المدارس والمعاهد والكليات. ويجدر التاكيد على اهمية علم النفس والروحانية وتحديث الطرق التربوية بما يتناسب مع تطور الحياة اليوم.